القصص المدرسية

(٢١)

بقلم

سعيد العريان　　أمين دويدار　　محمود زهران

معروف بمعروف

الطبعة الثانية عشرة

دار المعارف

obeikandl.com

obeikandl.com

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع

مَعْروفٌ بمعْرُوف

يُحْكَى أَنَّه كان فى بَلَدٍ من البلادِ ثلاثةُ إِخْوَة ، يَسْكنُون معاً فى بيتٍ واحد ، ويَعيشون معاً عِيشةً سَعيدة . وكان أَصْغرُ الثلاثةِ قَزَماً قصيرًا ، صغيرَ الجِسْم ، ضَئيلَ الحَجْم ، عجيبَ الشَّكل ؛ لكنه كان طيِّبَ القَلْب ، رَقيقَ العاطفة ، كثيرَ العَطْفِ على غَيْرِه من الإِنسان والحيوان . وكان يحبُّ أَخَوَيْهِ حُبًّا شديدًا ، ولا يُطِيقُ أَن يفارقَهما أَو يفارقاه .

لكنَّ أَخَوَيْه كانا تاجِرين، وكَثيرًا ما يُسَافِرَان

ويَتَنَقَّلاَن بين البلادِ سَعْياً وراءَ الرِّزق ، وكثيرًا ما يَغيبان عنه أَيَّاماً وأَسابيع ، فيحزَنُ لفراقهما ، ويَظَلُّ طولَ غَيْبَتهمَا فى هَمٍّ وغَمٍّ حتى يَعُودا إليه ، فتَبْتهِجَ نَفْسُه ، ويَنْشَرِحَ صَدرُه ، ويَزولُ عنه الهمُّ والغَمّ ، ويعودَ إليه الصَّفاءُ والمَرَح .

وفى إِحْدَى المَرَّات سافر أَخَواه كعادَتهِما ، فغابا غَيْبَةً طويلة ، وانْقَطَعَتْ عنه أَخبارُهما ، حتى شُغِلَ بالُه ، وَامتَلأَ قلبُه بالْخَوْفِ عليهما ، وخَشِيَ أَن يكونَ قد أَصابهما ضَرَر ، أَو حَلَّ بهما خَطَر ؛ فعزم على أَن يَذْهَبَ بنَفْسِه للبَحْثِ عنهما ، وأَعَدَّ عُدَّتَه للرَّحيل ، وَانْطَلَقَ

يَمْشى فى البلاد ، مُتَنَقِّلًا من بَلَدٍ إلى بَلَد ، ومن قُطْرٍ إلى قُطر ، يَتَنَسَّمُ رِيحَ أَخَوَيه ، ويتلمَّسُ أخبارَهما ، ويَتَتَبَّعُ آثارَهما ، ويسأَلُ عنهما القادمين والرائحين ، من التجَّارِ والمسافرين . . . وقضى فى ذلك أيَّاما ولَيالى ، وأَسابيعَ وشُهورًا ، حتى اسْتَطاع بعد عَناءٍ شديد ، وسَفَرٍ بعيد ، أن يَعْثُرَ عليهما تائِهَيْن فى غابةٍ مُوحِشَة ، مُنْقَطِعَةٍ عن العُمْران ، بعيدةٍ عن السُّكَّان . وكانا فى حالةٍ محزنةٍ من البُؤْس والفَقْر ، والضَّعفِ والإعْياء .

فلما رآهما على هذهِ الحال ، لم يَعْرِفْهما أَوَّلَ الأَمر ؛ أَمَّا هما فقد عرفاه ، وصَاحَا به يُنَادِيَانه ..

فما كاد يسمعُ نداءَهما ، حتى اندفعَ إليهما فى لَهْفَةٍ وشَوْق ، وعطفٍ وحَنان ؛ وتلاصَق الإخوةُ الثلاثة ، يُعانِقُ بَعْضُهم بَعْضاً ، ويُقَبِّلُ بعْضُهم بعضاً . ثم جلسوا يتساءلون بَيْنَهم ؛ فقَصَّ الأَخَوانِ على أَخيهما نَبأَ رحلتهما ، وما صادفهما فيها من المتاعب والأَهوال ؛ فهَنَّأَهما بسلامَتهما ، وحَمِدَ اللهَ الذى وَفَّقه فى العُثورِ عليهما ، وشَكر له الأَخَوان ما لاقاهُ فى سَبيلهما من التَّعب . وقام الثلاثةُ يَسْتَأْنِفون السَّيْرَ عائِدِين إلى بلادِهم .

* * *

استمرَّ الإخوةُ الثلاثة سائرين حتى تَعبوا ،

فجلسوا يستريحون عند رَبْوَةٍ عالية ، وكانت هٰذه الرَّبْوَةُ مَسْكناً للنَّمْل ، قد اتخذ فيها بُيوته ، وجمع فيها أَقْواتَه وخزائنه ، وتَجمَّع حَوْلَها جماعاتٍ جماعات : هذه داخلةٌ وهذه خارجة ، وهذه ذاهبةٌ وهذه آيبَة ، وهذه تحمل كِسْرَةَ خُبْز ، وهذه تحمل حَبَّة قمح ، وكلُّها على الربوةِ صاعدةٌ هابطة ، فى حركةٍ لا تُمَلّ ، ونظامٍ لا يَخْتَلّ .

فأَراد الأَخَوان أَن يَهْدِما على النمل بيوته ، فصاح فيهما القَزَمُ قائلا : «حَرامٌ يا أَخَوَىَّ أَن تُؤْذِيا هذه الحَشَراتِ الضَّعيفَة ، وأَن تُكَدِّرا عليها صَفْوَ الحياةِ ولَذَّةَ العَيْش ! إنها مَخْلوقاتٌ

صغيرة ، ولكنَّ اللهَ خَلقَها كما خَلَقَنا ، ورزَقها كما رَزَقَنا ، وجعلها تَدِبُّ على الأَرض كما نَدِبّ ، وتَسْعى كما نَسْعى ، وتعيشُ كما نعيش . . ! »

فاسْتَمع الأَخَوان لقوله ، وتَرَكا النملَ دُونَ أَن يُؤْذِياه .

واستمر الثلاثةُ فى سَيْرهم ، حتى وصلوا إلى بِرْكةٍ واسعة ، قد امتلأَتْ بالماءِ إلى حَوَافيها ، وانتْشَر فيها البطُّ على أَشكالٍ شَتَّى وأَنواعٍ مُتَبَاينة : بعضُها سابحٌ فى الماءِ ، وبعضُها طائرٌ فى السماءِ ، وبعضها طافٍ وبعضها غاطِس ، وبعضها صائحٌ وبعضها ساكِت ،

وبعضها يَنْفُضُ جَناحَيْه ، وبعضها يُدَغْدِغُ رِجْليه ، وكلها فَرِحةٌ مَرِحة ، لاهيةٌ لاعبة ، آمنةٌ مطمئنّة .

فانْدَفع الأَخوانِ نَحْوَ هذه الأَسْرَاب الآمنة ، فأَمسكا منها بَطَّتَين ، وَهَمَّا بذَبْحهما ، لولا أَن أَخاهما القَزَم ، حالَ بَيْنَهما وبين ما أَرادا ، وجَعل يَلُومُهُما على ما فَعَلا ، ويقول لهما :

« ما ذَنْبُ هذا البطِّ يا أَخَوىّ تُؤْذيانِه وتُزْعِجانِه ؟ اتْركاه يَمْرَحُ ويَلْعب ، ويَتَمَتَّع بِنِعْمةِ الحُرِّيةِ التى وَهَبها اللهُ له ، وَاسْتَمْتِعَا بمَنْظرِه الجميل ، وهو يَذهَبُ ويَجيءُ فى البُحَيْرَةِ آمِناً مُطْمئِنًّا ! » فاستَمعَ الأَخوانِ لقوله ، وتركا

البطَّ دُونَ أَن يؤذياه .

واستمرُّوا يَسِيرُونَ حتى وصلوا إلى شجرةٍ غليظة ، قد اتَّخَذَ النحلُ فيها بُيُوته ، وجعل من جِذْعِها خَلَايَا ملأَها بالشَّهد مختلفاً أَلوانُه. فأَراد الأَخوانِ أَن يُوقدا النارَ تحت الشجرة ، ليَطْرُدَا النحلَ عَنْ مساكنِه ، ويأْخذا شيئاً من العَسَل ؛ فصاح بهما القزمُ الشفِيق : «حرامٌ يا أَخوىَّ أَن تهيجا النحلَ وتُؤْذياه ! إِن النحلَ مخلوقاتٌ نافعة ، يخرج من بطونها شرابٌ مختلفٌ أَلوانُه ، فيه شِفاءٌ للناس ؛ فاتركاه آمناً فى مُلْكِ الله ، ولا تُكَدِّرا عليه صفاءَ العَيْش ولذَّةَ الحياة ! »

فاستمع الأَخوان لقوله ، وتركا النحل دون أَن يؤْذياه .

* * *

وما زال الثلاثةُ سائِرين ، حتى أَبصروا على البُعْدِ قصرًا عالياً أَبيض ، يتلأْلأُ بياضُه فى وَسَطِ الفَلَاة ، كما يتلأْلأُ النَّجمُ فى كَبد السماء . وكان السيرُ قد أَنْهكَهُم ، والليلُ قد أَدْرَكَهم ، فاتجهوا نحوَ القصر ، لعلَّهم يستطيعون أَن يَبيتُوا فيه إِلى الصباح .

فلما دَنَوْا من القصر ، وجدوه قصرًا عظيماً فَخْماً ، يقومُ على رَبْوة عالية كأَنه الطَّوْد ، وتتعالَى أَبراجُه نحو السَّماءِ كأَنما تُناطِحُ السَّحاب ؛

ومن حَوله غابةٌ كَثِيفة ، تلاصَقَتْ أَشجارُها ، وتشابكتْ أَغصانُها ، حتى تَعَذَّرَت مسالكُها ، وانْطَمَسَتْ مَعَالِمُها .

فأَخذوا يَدُورونَ حولَها ، حتى وجدوا فيها مَنْفَذًا إلى القصر ، فَنَفَذوا منه . فلما وصلوا إلى الباب لم يَجدُوا عنده أَحدا ، إلا تماثيلَ قائمةً هنا وهناك كالحُرَّاس ، لكنها حجارةٌ لا حِسَّ فيها ولا حَيَاة .

أَخذ الإِخوةُ الثلاثة يَقْرَعُون البابَ ويَصيحون لعل أَحدًا من سُكَّان القصر يأْتى إليهم ، أَو يَرُدُّ عليهم ، ولكن لا سميعَ ولا مُجيب . وطال وقوفُهم بالباب حتى سَئِمُوا ومَلُّوا ، فَهَمُّوا

بالرجوع من حَيْثُ جاءُوا ؛ لكنَّهم نظروا من خَصَاصِ الباب ، فرأَوْا وراءَه رَدْهَةً واسعة ، فى وَسَطِها مِنْضَدَةٌ كبيرة ، قد جلس إليها زِنْجِيٌّ عَجوز ، كأَنه تِمثالٌ من نحَاس . فعادوا يَقْرَعُون البابَ من جَديد ، ويَصيحون بذَلك الزِّنجيِّ العجوز ؛ لكنه ظلَّ جامدًا فى مكانه لا يَرُدُّ ولا يَتَحَرك ؛ فظنُّوا أَنه تمثالٌ ، وهَمُّوا أَن يَعُودوا من حيث أَتَوْا .

لكنَّ القَزَمَ قال لأَخَوَيه : «لا يَنْبَغِى أَنَ نَيْأَس » ! وانْطلقَ إلى الغابةِ ، فأَحضر منها فَرْعَ شجرةٍ ضَخْمًا ، وجَعَلَ يَقرعُ به البابَ قَرْعاً عَنيفًا ؛ وما زال يَقرعُ ويَدِبُّ ، حتى أَخذ

التمثالُ يتحرك ، ويُدير رأْسَه إلى البابِ فى بُطْءٍ شديد .

عند ذلك تَجَدَّدَ الأَمَلُ فى نفوسِهم ، فواصلوا القَرْعَ والصِّياح ؛ فتحرَّك الزِّنجىُّ . ثم أَخذ يَتَمَطَّى ويَتَثاءَب ، ثم تَحاملَ على نفسِه واستَنَدَ إلى المنضدةِ ، حتى قام عن كُرْسِيِّه فى كَسَل شديد ؛ ثم توجَّه إلى الباب ، وأَخذ يسيرُ نَحْوَه فى حركاتٍ بطيئة ، وخُطواتٍ وَئِيدَة ، كأَنما قُيِّدَتْ رِجلاه بسلاسلَ من الحديد .

وبعد جُهْدٍ جَهِيدٍ وصَل إلى الباب ، وجعل يُحَرِّك مفتاحَه حتى انفتح . فلما رأَى الإِخوةَ الثلاثة ، بَدَتْ عليْه الدَّهْشة ، وأَوجْسَ منهم

خِيفَة : قالوا : «لا تَخَفْ» ! وأَفْهموه أَنهم غُرَباءُ ، وأَن الليلَ قد أَدْرَكَهُم فى الطَّريق وهم على مَقْرَبَة من القَصر ، فَعرَّجُوا عليه ليَقْضُوا فيه سَوادَ الليل ، ثم يذهبون فى الصباحِ إلى حيثُ يُريدون .

فلما عرف الزنجىُّ قصَّتَهم رَحَّب بهم ، وأَخذهم إلى المِنْضدة التى كان يجلسُ إليها ، فإذا هى مائدةٌ حافلةٌ بأَلوانِ الطعام والشراب . وكان الجوعُ قد أَضْناهم ، فاندفعوا إلى الطعام يَلْتَهمونه التهاماً ، ويَقْذِفُون به قَذْفاً فى بطونِهِم ، كأَنما يَرْمُون فى آبار لا قرارَ لها ، حتى أَتَوْا على كل ما كان فوق المائدة . فلما شبِعوا ثَقُلت

رءُوسُهم من النَّوم ، فأَخذهم الزنجىُّ إلى حجرةٍ واسعة ، بها ثلاثَةُ أَسِرَّة ، فاستَلْقَى كلُّ واحدٍ منهم على سرير ، وراح يَغُطُّ فى نومٍ عميق .

* * *

فلما أَصبح الصباح أَيْقَظَهُم الزِّنجى ، وجعل يَدُورُ بهم فى نواحى القصر ، ليُطْلِعَهم على ما فيه ؛ فرأَوْا أَثاثاً فاخرًا ، ورياشاً غالياً ، وفرْشاً وثيرًا ؛ ورأَوْا كثيرًا من التُّحَفِ والنَّفائس النادرة ، مما لا يوجَدُ إلا فى قصور الملوكِ والأُمراء . لكنهم لم يُصَادِفوا فى طريقهم أَحدًا من سُكَّان هذا القصر : كلما دخلوا حجرةً

وجدوها مُفْعَمَةً بالأَثاث والرِّياش ، لكنها خاليةٌ من السكان ؛ غير أَنهم كانوا يَرَوْن من حينٍ إلى حين تماثيل من الحَجَر ، مُفَرَّقةً فى نواحى القصر ، بعضها قائم ، وبعضُها نائم ، وبعضها مُتَهَيِّئٌ لعملٍ من الأَعمال .

فاستعجب الإِخوةُ الثلاثة ، وسأَلوا الزنجىَّ عن سِرِّ هذا القصر العجيب . فأَخبرهم أَنه قصرُ الأَميراتِ الثلاثِ بناتِ الملك ، وأَن أَباهنَّ الملكَ بَنَى لهن هذا القصرَ ، فى هذه البُقْعَةِ النَّائية ، ليَحْفَظَهن من شَرِّ ساحرةٍ ماكرةٍ ، كانت غاضبةً عليه ، لأَنه نسى ذاتَ مرة ، أَن يَدْعُوَها فى إِحدى الحفلات التى كان

يُقِيمُها فى قَصْرِه ؛ فأَرادت أَن تَنْتَقِمَ منه بسِحْرِ الأَميراتِ الثلاثِ . فخاف الملك عليهن ، وبنى لهن هذا القصر ، فى هذه البُقعةِ النائية ، ليُبْعِدَهن عن وَجْهِ الساحرةِ الملعونة ؛ وحَصَّنَهن بثلاثِ تعاويذ ، وجعل كل تَعْويذة فى قِلادة ، وألبس كلَّ أَميرةٍ قلادتَها ، ثم أَسْكَنَهن هذا القصر ، وأَرسل معهن عددًا كبيرًا من الحُرَّاسِ والخَدَم .

. لكن الساحرةَ الملعونة استطاعت أَن تَعْرِف مكانَ الأَميرات ، فجاءَت إليهن فى هَيْئَةِ فلاحة تبيع الشَّهْد ، وباعت لهن شهدًا مسحورًا ، فما كِدْنَ يَذُقْنَ منه شيئاً ، حتى صِرْنَ تماثيلَ

من الشَّمْع ؛ فانتهزت الساحرةُ الملعونةُ هذه الفرصة ، ونَزَعت عنهن القلائدَ الثلاث ، ورَمَت بها فى جُبِّ الأَفاعى . ولم تَكْتَفِ الملعونةُ بذلك ، بل سَحَرت جميع مَنْ فى القصر من الحرَّاس والخدمِ ، فجعلتهم تماثيلَ من الحجارة ؛ ثم سَكَّت على الأَميراتِ الثلاثِ حُجْرَتَهن بمفتاحٍ مسحور ، وأَخذت المفتاحَ فرمته فى تلك البُحَيْرة الواسعة . وأَشار الزنجىُّ إلى بُحَيرة فى أَسفلِ الرَّبوة .

وسكَت الزنجىُّ برهةً ، ثم عاد يقول : أَما أَنا فقد كنتُ ـ لِحُسْن حَظِّى ـ غائباً عن القصر فى ذلك اليوم ، فنَجَوْتُ من سحرِ

الساحرة الملعونة . لكننى لشدَّةِ حُزْنى على ما أَصاب القصرَ وسُكَّانَه ، فَقَدْتُ شُعورى ، وأُصِبْتُ بنوعٍ من الذُّهول ، يَنتَابُنى فى كثير من الأَحيان ، فيجعلُنى كالنائِم المُسْتَغْرِق .

فاسْتَعْجَبَ الإِخوةُ الثلاثةُ حين سَمِعوا قصَّةَ الأَميراتِ الثلاث ، وحَزنوا لما أَصابَهُن من فعل الساحرة ، وَوَدُّوا لو استطاعُوا أَن يُخَلصوهنَّ من السِّحْر ، ويَرُدُّوا إلى القصر حياتَه ونشاطَه .

فهزَّ الزِّنجىُّ العجوزُ رأْسَه أَسَفاً وقال : «لا أَظُنُّ أَن ذٰلك ممكنٌ أَبدًا ؛ فقد عَقَدت الساحرةُ الملْعونةُ عُقَدًا ثلاثة ، لا بُدَّ من حَلِّها جميعاً . ودونَ حلِّ هذه العُقد الثلاثِ مصاعبُ

جَمَّة ، وأَخطارٌ بالغة » . قال الإِخوةُ الثلاثة : « ما هٰذه العقدُ الثلاثة » ؟

فاعتدل الزِّنجىُّ فى جِلْسَته ، وأَخذ يَعُدُّ على أَصابعهِ ويقول : « لقد أَخبرتكم أَن الساحرَة المَكَّارة ، سَكَّتْ على الأَميراتِ حُجرتَهن بمفتاحِها المسحور ، ورمت المفتاحَ فى تلك البحيرة الواسعة . فلا بُدَّ أَن يُسْتَخْرَجَ المفتاحُ من البحيرة ، ليُمكنَ أَن تُفْتَحَ حجرةُ الأَميراتِ ..

« وأَخبرتكم أَنها نَزَعتْ قلائدَ الأَميرات ، ورمتها فى جُبِّ الأَفاعى . فلا بدَّ أَن تستخرجَ القلائدُ الثلاثُ من الجُبِّ ، وتوضَع فى أَعناقِ الأَميرات . .

«وأَخبرتكم أَنَّ الساحرةَ سَقَت الأَميراتِ شَهْدًا مسحورًا. فلا بُدَّ أَن تَحْضُرَ إلى هُنا مَلِكةُ النَّحل، لِتَمْتصَّ هذا الشهدَ من أَفواهِ الأَميرات، لتَعُودَ إليهن الحَياة... فمن الذى يستطيعُ أَن يَسْتَخْرِجَ المفتاحَ من البُحَيرة؟ وَمن الذى يستطيعُ أَن يَستخرجَ القلائدَ من جُبِّ الأَفاعى؟ ومن الذى يستطيعُ أَن يَحْصُلَ على مَلِكَة النَّحْل، لتمتصَّ الشَّهدَ من أَفْواهِ الأَميرات؟»

قال الأَخُ الأَكبر: «أَنا..!» فأَجابه الزنجىُّ قائلًا: «احْذَرْ أَن تُعَرِّضَ نفسك للهلاك! إنك إذا أَخْفَقْتَ فى حلِّ واحدةٍ من هذه العُقَد، فإن السَّاحرة تَسْحَرُك تِمثالًا

كهذه التماثيل . . ! » .

* * *

لكنَّ الأَخَ الأَكبر صَمَّمَ على أَن يُخَلِّص الأَميراتِ من السحر ، وقام فى الحال فذهب إلى البُحيرة . فلما وصل إليها نَزَع عنه ثيابَه ، وأَلْقَى بنفسِه فى الماء ، وجَعل يَغطِس ويَغُوصُ ، وَيبحثُ فى كلِّ مكان عن المفتاح ؛ ولكنه أَخْفَقَ فى محاولته ، ولم يَستطعْ بِرَغْمِ ما بَذَل من الجُهْدِ أَن يَعْثُرَ عليه . فخرَج من البحيرة حزيناً يائساً ، ووقف على الشطِّ ليَلْبسَ ملابسَه : لكنَّه ما كاد يقفُ على الشَّطِّ ، حتى تَحَوَّل تمثالاً من الحجر .

ثم ذهبَ الأَخُ الأَوسَطُ ليبحثَ عن المفتاح ، ففَعل كما فعل أَخوه ، ولكنه لم يَستطعْ العُثورَ عليه أَيضاً ؛ فسَحَرَتْه الساحرةُ تمثالاً من الحجر كذلك .

فلما رأَى القزَمُ القصيرُ مَصْرَعَ أَخَوَيْهِ ، خافَ على نفسه ، وقَدَّر أَن مَصيرَه سيكونُ مثلَ مَصيرِهما ، إِذا هو حاول العثورَ على المفتاحِ ثم أَخْفَق . لكنَّه عَزَّ عليه أَن يَتْرُكَ الأَميراتِ الثلاثَ مسحورات ، وصَمَّمَ على أَن يَقومَ بِدَوْرِه فى البحث عن المفتاحِ مَهْما كلَّفَهُ ذلك ، وقام من فَوْرِهِ فذهب إِلى البُحيرة .

فلما وقف على الشَّط ، ونَظَر إِلى البحيرة ،

وَجدها واسِعة جدًّا ، كأَنَّها بَحْرٌ لا نهايةَ له ؛ فتحيَّرَ كيف يبحثُ فيها عن المفتاحِ وهى بهذه السِّعَةِ العظيمة ، وفى أَىِّ مكان منها يستطيعُ أَن ينزل ؟ وَتَبَيَّنَ له أَن المُهِمَّةَ شاقَّةٌ عَسِيرة ، وأَن البحثَ عن المفتاحِ ليس شيئاً هَيِّناً كما تَصَوَّر . وتذكَّر مَصْرَع أَخويه ، وما أَصابهما من المَسْخِ على يَد الساحرةِ الملعونة ؛ فأَوْجَسَ فى نَفْسِه خِيفَةَ ، ووقف حائرًا على الشَّطِّ لا يَدْرِى ماذا يفعل . أَيُخَاطِرُ بنفسِه ويَتَعَرَّضُ لغَضَبِ الساحرة ، فيكونَ مَصيرُه كمصيرِ أَخَويه ؟ أَم يَنْجُو بنَفْسِه ويترُكُ الأَميراتِ الثلاثَ مسحورات ؟

كان مَوْقِفًا مَحُيِّرًا جدًّا ؛ فوقف القزَمُ حزيناً يفكِّر فى حَلِّ هٰذه المُشْكلِة .

وبَيْنما هو كَذلك نَظَر أَمامَه ، فإذا بَطَّةٌ كبيرةٌ مُقْبلَةٌ عليه ؛ فلما دَنَتْ منه حَيَّتْه قائلة : « السلامُ عليك أَيُّها القَزَمُ الطيِّب! » فاضْطَرَبَ القزم ، وَرَدَّ التحية فى عَجَب ودَهْشة . فقالت البطة : « ما الذى أَتَى بك إلى هذا المكان ؟ » فحكَى لها القزَمُ حكايَته ؛ فقالت له البطة : « إنك تُخَاطِرُ بنفسِك مُخَاطَرَةً شديدة لو نَزَلْتَ فى البحيرة ، وإنك مهما فَعَلت لا يمكنُ أَن تَعْثُرَ على المفتاح ؛ وسيكونُ مصيرُك — ولا شَكَّ — كمصير أَخويك ! »

فقال القزم فى حُزْن : «ماذا أَفعلُ إِذَنْ ؟ لا بُدَّ لى أَن أُخلِّصَ الأَميراتِ الثلاث ، ولايجوزُ أَن أَتركَهن على هذه الحال مهما كان الأَمر!»

فابْتَسَمَت البطةُ وقالت : «إِنك أَيها القزمُ رقيقُ القلب ، شديدُ العَطفِ والحنانِ على غيرك» . ثم سكتت برهةً وقالت : «على كل حالٍ سأُساعدُك ، فلا تَحْمِل الهَمّ . . إِنك قَدَّمْتَ إِلَىَّ معروفاً فيما مَضَى ، فلا بُدَّ أَن أُكافِئَك بمعروف مثْلِه . . أَتذكُرُ ذلك أَيها القَزم ؟»

قال القزم : «لا أَذكرُ ذٰلك» . فضحكت البطةُ وقالت : «هل نَسِيتَ يومَ خَلَّصْتَ

البطتين من يَدَىْ أَخَوَيك عند البُحيرة ، وهما يُريدان ذَبْحَهُمَا ؟ » إننى ملكةُ البَطّ . . وقد حَفِظتُ لك هذا الجَميل ، وجئت اليَوْمَ لأَرُدَّهُ إليك . اِنتظرْ هُنا لحظةً حتى أَعودَ إليك . . ! »

ثم تركته البطةُ وأَخذت تَسْبَحُ فى ماء البحيرة حتى أَبْعَدَت ، ثم غَطَست تحت الماءِ ، فغابَتْ بُرهةً عن عَيْنَىِ القزم ، ثم ظهرت على وَجْهِ الماءِ وفى فَمِها المفتاح ، فسلمتهُ إليه . فشكرها القزَم شكرًا كثيرًا ، وأَخذَ المفتاحَ وانطلق يجرى به إلى القَصْرِ فى سرورٍ وابْتهاج .

فلما رآهُ الزنجىّ يحملُ المفتاحَ فَرِحَ تَهَلَّل ،

وجعل يقول : «الحمد لله ! لقد انحلَّتْ أَولُ عقدةٍ على يديك أَيها القزم ، فعليك أَن تُبَادِرَ بحلِّ العقدةِ الثانية ! » قال القزم : «وما هى العقدةُ الثانية ؟ » قال الزنجىّ : «هى إخراجُ القلائدِ الثلاثِ من جُبِّ الأَفاعى » قال القزم : «وأَين هذا الجب ؟ » قال الزنجىّ : «هناك فى أَسْفَل هٰذه الرَّبْوه ، وراءَ هذا القصر . . »

فانطلق القزمُ يَبحثُ عن الجُبِّ حتى وصل إليه ؛ فوجده جُبًّا مُخيفاً ، قَرارُه بَعيد ، وظَلامُهُ شديد ، ومَنْظَرُه مُوحِش ، ورائحتهُ لا تُطَاقُ ؛ وسَمِع صفيرَ الأَفاعى فى قراره يَختلطُ بعضُه

ببعض ، فى نَغَماتٍ عجيبة ، وأَصوات كَئِيبة . فوقف حيرانَ لا يدرِى ماذا يفعل ؛ ثم اسْتَجْمَعَ شجاعَتَه ، ومَدَّ يدَه يتَحَسَّسُ جُدْران الجُبِّ ، فوجدها مَلْسَاءِ ناعمة ، تَزِلُّ فِيها القَدَم ، فازْدَاد حَيْرَةً على حَيرة ، ووقف حزيناً يقول : « لقد كانت عُقدةُ البحيرةِ أَسهلَ حَلاًّ من عقدةِ الجُبِّ » ؛ وهَمَّ بالرجوع ، لولا أَنه كان حريصاً أَشدَّ الحِرْص ، على خلاصِ الأَميراتِ الثلاث .

وبينما هو فى حَيْرَته سمع صوتاً يُناديه ؛ فَتَعَجَّبَ وجَعل ينظرُ حَوْله ، فرأَى نملةً كبيرةً مُقبلةً عليه ، وهى تحيِّيهِ قائلة : « السلامُ

عليك أيها القزمُ الطَّيِّب ! ماذا تفعلُ هنا ؟ »
فقَصَّ عليها القزمُ قصتَه . فقالت النملة :
« لا تَحْمِل الهَمَّ ! لقد سَبَقْتَ أنتَ بمعروفِك ،
فوجب أن نَجْزِيَكَ معروفاً بمَعْرُوف ! ألا تذكرُ
يومَ منعتَ أخَويك من هَدْمِ بيوتِ النمل فوقَ
الرَّبْوة ؟ . . . أنَا ملكة النَّمْلِ ، وقد جئت
إليك اليومَ لأساعدَك » .

ثم نادَتْ جماعةَ النَّمل ، وأَمَرتْها أن تُخْرِجَ
القلائدَ الثلاثَ من الجُبّ ؛ فنزلت النمل
أَسراباً أَسراباً ، هابطةً على جُدْران الجُبّ ،
حتى وصلَتْ إلى القرار . وهناك دارَتْ بينهَا
وبين الأَفاعى مَعْرَكةٌ حامية ، انتصرت فيها

النمل ، واستطاعت أن تُخلِّصَ القلائدَ من أنيابِ الأفاعى ؛ وبعد فَتْرَة طويْلة ، أخذت النملُ فى الصعودِ وهى تحملُ القلائدَ الثلاثَ ، كلُّ جماعةٍ منها تحملُ قلادة ، فتُسَلِّمُها إلى القزم . فلما رآها القزمُ بَيْنَ يديه ، شكر النملَ كثيرًا ، وحمل القلائدَ وطار بها إلى القَصرِ فرحاً مسرورًا .

فلما رآها الزنجىُّ فَرِحَ وتَهَلَّل ، ثم قال : « الحمدُ لله ! هذه ثانى عقدةٍ قد حُلَّت على يَدَيْك أيها القزمُ المبارك ! لم يَبْقَ إلا عقدةٌ واحدة ، وأرجو أن يُوَفِّقَكَ اللهُ إلى حَلِّها ، كما وَفَّقك فى حلِّ سابِقَتَيْها ! » قال القزم :

« وما هى العقدةُ الباقية ؟ » قال الزنجىُّ :
« هى الحصولُ على " النَّحْلة " ملكةِ النحل ، لِتَمْتَصَّ ما وضَعَت الساحرة من الشهد ، فى أَفْواه الأَميراتِ الثلاث . . إنك إن وُفِّقْتَ فى حلِّ هذه العقدة ، استَطَعْتَ أَن تُبْطِلَ السِّحرَ كلَّه ، وكان خلاصُ الأَميراتِ والقصرِ ومن فيه على يديك » .

قال القزم : « وأَين أَجِدُ النَّحْلَةَ يا تُرَى؟ »
قال الزنجىُّ : « تَجدُها عند جَبَل الشَّهْد » .
قال القزم : « اُدْعُ اللهَ لى أَن يُوَفقَنى إلى حلِّ هذه العقدة ، كما وفقنى فى حلِّ أُختيها ! »
قال الزنجىُّ العجوز : « ظَنِّى أَن اللهَ لن يَتَخَلَّى

عنك أيها القزَم ، لأنك طيب القَلْب طاهرُ السَّريرة ، صادقُ النيِّةِ فى مساعدةِ غيرك ؛ فَسِرْ على بَرَكةِ الله ، وثِقْ أن اللهَ معك حَيْثُمَا كنت ! »

* * *

فانطلق القزَمُ يَجُوبُ البلادَ والأَقطار ، ويقطعُ الفَيافىَ والقِفَار ، ويواصل الليلَ بالنَّهار ، باحِثاً عن جبل الشهد ، حيثُ تسكنُ النَّحْلة ملكةُ النحل ، حتى وصلَ إلى جَبَل عال تكدَّسَتْ فوقه جُموعُ النحل ؛ فسأَلَ عن المَلِكة ، فَعلم أنها تسكنُ فوقَ هذا الجبل ؛

وكان الجبلُ يَمْتَدُّ فى الجَوِّ شاهِقاً ، والشَّهدُ يسيلُ من جميع نواحيه . وأخذ القزم يُحاولُ الصعودَ فيه فلا يستطيع ، وكلَّما صَعِدَ مسافةً زلَّت قدمُه فانْحَدَرَ إلى السَّفْح ؛ لكنه لم يَيْأَسْ ، وجَعَل يحاول ويحاول ، حتى استطاع الصعودَ إلى القِمَّة ، بعد ما دَمِيَتْ قَدَماه ، وتَقَلَّمَتْ أَظفارُه ، وتَسَلَّخ جِلْدُه .

فلما وصل إلى القِمَّة ، وجَدَ مَلكةَ النحل هُناك ؛ فما كادَ يَراها حتى صاحَ بها مُسْتَغيثاً : « هأَنذا قد عَثَرْتُ عليكِ بَعْدَ طولِ البحث ، أَيتها المَلِكَةُ الجَميلة ! فبالله عليكِ إلا مَدَدْتِ إلَيَّ يَدَ المعاونة ، فى حَلِّ العقدةِ

الباقية ! » فنظرتْ إليهِ المَلِكَةُ مَدهوشة ، وقالت : « أَيَّةُ عقدة ؟ »

فحكى لها القزمُ قصَّة الأَميراتِ الثلاث ، وما عَقَدتْ لَهُنَّ الساحرةُ من عُقَدِ السِّحر الثلاث ، وكيف استطاع هو أَن يَحُلَّ العقدةَ الأُولى بمعاونةِ ملكةِ البَطّ ، وأَن يَحُلَّ العقدةَ الثانية بمعاونةِ ملكةِ النَّمل . وتَوَسَّل إليها أَن تعاونَه على حلِّ العقدةِ الثالثة ، بمَصِّ الشهدِ .

فجعلت المَلِكَةُ تتأَملُ برهةً فى القزم ، ثم قالت : « كأَننى أَعرفُك أَيها القَزَم ؟ أَلستَ أَنت القزمَ الذى مَنَع أَخَويهِ أَن يُحْرِقا

بيوتَ النحلِ عند الشَّجرة ؟ فأَجاب القزمُ : « إننى أنا هو . . » فقالت المَلِكَةُ : « إذَنْ فقد حَقَّ علينا مُساعدتُك . . لقد سَبَقْتَ بالمعروف ، فوجب أن نُكَافِئَ مَعروفك بمعروفٍ مِثْلِه ! ثم إن عَمَلَك هذا عَمَلٌ نبيل فى ذاتِه ، يَسْتَوجِبُ المعاونَة ويستحقُّ الشكر » .

وانطلقت المَلِكَةُ مع القَزَم ، حتى وصلَا إلى قصرِ الأَميرات الثلاث . وهنالك فُتِحَتْ حُجرةُ الأَميرات بالمفتاح المَسْحور ، ودخلت الملكةُ والقزَم والزنجىّ ، وامتصت المَلِكَةُ العسلَ المسحورَ من أَفواه الأَميرات ، ووضع القزَمُ القلائدَ فى أَعناقهن . . فما كادتْ كُل

أَميرة تلبَسَ قلادَتَها ، حتى أَفقْنَ جميعاً ، وزال السَّحرُ عنهن ، وعادتْ إليهن الحياة والنشاطُ ، والمَرَحُ والسرور .

فى ذلك الوقت انفك السحرُ عن كلِّ مَنْ فى القصر ، وعاد الجميع إلى نشاطهم ، فَعاد إلى القصر بهاؤُه ، وأُنسه وضياؤُه ؛ وكذلك انفك سحرُ الأَخَوَيْن ، فعادا إلى القصر مُسْرِعَيْن يبحثان عن أَخيهما القزَم . ففرح القزم غايةَ الفرح ، بأن كان خلاصُ الجميع على يديه .

وكان شكرُ الأَميرات لا يُقَدَّر للقزَمَ الشَّفيق ، الذى كان سببًا فى خلاصِهِنَّ من سِحْر الساحرة الملعونة .

أَما الملكُ والدُ الأَميراتِ الثلاث ، فقد حَضَرَ مُسْرِعاً لمَّا علم بخلاصِ الأَميراتِ العزيزات .. وحين عَرَف أَن القزَم هو الذى سَعَى فى خلاصهن ، أَحْضَرَهُ إليه ، وقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْه ، وأَمر بأَن يَتَزَوَّجَ أَحْسَنَ الأَميراتِ الثلاثِ ، وجَعَله وَلِىَّ عَهْدِه ، وخَليفةً من بعدِه .

وهكذا أُقيمت الأَفراح ، واللَّيالِى الملاح ، ٱستعدادًا لزواجِ الأَميرةِ الصَّغِيرة بالقزَم الأَمير.

وفى لَيْلَةٍ مُقْمِرة ، زَاهيةٍ مُزْهِرةٍ ، زُيِّنَ القصرُ أَجملَ زينة ، وتَلَأْلَأَت الأَنوارُ فى غُرُفاتِه ، ورَنَّت الأَلحانُ فى جَنَبَاتِه ، وغَمَرت البهجةُ

والسرورُ كُلَّ جهاته . . وبَيْنَ أَنغامِ الأَغانى والأَناشيد ، ورَنَّاتِ الموسيقَى والزَّغاريد ، وأَنوارِ الشُّموع الموقَدَةِ ، وابتهاجِ الجُموع الحاشِدَة ، زُفَّ العَروسانِ السَّعيدان ، وعاشا فى مَسَرَّةٍ وهَناء ، ومَحَبَّةٍ وصَفاء .

obeikandl.com

رقم الإيداع	١٩٩٣ / ٧٣٦٣
الترقيم الدولى	977 – 02 – 4191 – 1 ISBN

٧ / ٩٣ / ٣٢
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

obeikandl.com